حكايات هذا الزمان

نور والذئب الشهير بالمكار

عبد الوهاب المسيرى
رسوم : صفاء نبعه



الطبعة الأولى 1999 ـ الطبعة الثانية 2000

دار الشروق : القاهرة ـ 8 شارع سيبويه المصرى
رابعة العدوية ـ مدينة نصر ـ ص. ب 33 البانوراما
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: 99/10488
I.S.B.N : 977_09 _ 0558 _ 5
طبع بمطابع الشروق ـ القاهرة



كانتْ نُور جالسةً علَى شجرةِ البُرتقال تأكلُ الحلوى وتُطيِّر طيارةَ ورقٍ ملُونةً وكانتْ مُرتديةً ثَوْبا أحمَر جميلاً حينَما نادتْ عليها أمُّها قائلةً: «يا نورُ، يا نورُ، أريدكِ أنْ تأخذى دجاجتيْن وعلبةَ شاىٍ وعلبةَ مربَّى، ثُم تذهبِى بها إلى جَدَّتك، فقد وعدتُها بذلك».

فرحتْ نور لأنها تُحب أنْ تذهبَ إلى بيتِ جَدتِها الذى يقعُ على أطرافِ المدينةِ علَى مَقربةٍ مِن الأشجارِ العاليةِ. وطلبتْ مِن أمِّها أنْ تسمحَ لها بأن تذهبَ على دراجتِها الجديدةِ، بدلاً مِن أن تركبَ الأتوبيس. وحينَما عرفَ ياسرُ وأخوه الأصْغَر نديمٌ أن نور ذاهبةٌ قالوا: «نحنُ أيضًا نحبُّ أنْ نذهبَ، ويمكنُ أن نركبَ الأتوبيسَ ونقابلَها هُناك».

فوافَقت الأمُّ، وودَّعت الأطفالَ ومعهم أخاهُم الجَمَل ظريف.



سار ياسرٌ ونديمٌ وظريفٌ نَحوَ محطةِ الأتوبيسِ واتجهتْ نور بدراجتِها نحوَ الطريقِ الذى يمرُّ بينَ التلالِ والأشجارِ والمزارعِ. وبينَما هى مسرعةٌ رأت الذئبَ العجوزَ جالسا كعادته تحتَ شجرتِه المفضَّلةِ، وسمعتْه يغنِّى أغنيةً جديدةً رديئةً. وحينَما نادَى عليها لم ترُدّ عليه لأنَّها كانتْ تَعرفُ ما يريدُ حيثُ كانتْ قد قرأتْ عنه فى كتابِ الأساطيرِ، وزادتْ من سُرعتِها. ولكنَّها لاحظتْ عن بُعدٍ ابتسامةً ساخرةً علَى وجهِه، وأنَّه توقَّفَ عن الغناءِ.



وجدتْ نور أنَّ ياسرًا ونديمًا وظريفًا كانوا قد وصلُوا قَبلَها، وأن الجَدةَ كانتْ فى انتظارِها، فاحتَضنتْها وقبَّلتْها، ثم جلستْ نور وأخبرتْهم بما رأتْ، وقالتْ: «لابدَّ أنَّ ذلك الذئبُ سيَحضُر لزيارتِنا، أليسَ كذلك؟ وهو طبْعا لا يَعرفُ أننى انْطلقتُ بأقصَى سُرعتى، عَبْرَ الطريقِ الجديدِ ووصلتُ قبلَه. لا بدَّ أن نُعِدَّ له حفلةَ استقبالٍ تليقُ بمقامِه السامِىِّ». ارتعدَ ظريفٌ قليلاً مِن الخوفِ، ونَظر إلى نديمٍ فوجَده هو الآخرَ خائفا ويقتربُ مِن جَدته ليَحتمىَ بها، ولكنَّ ياسرًا طمأنَهما.



كانتْ نور على حقٍّ، فبعد أن ابتسمَ الذئبُ ابتسامتَه الماكرةَ، أخرجَ مِن جَيبه كتابا قديمًا عنوانُه «ذاتُ الرداءِ الأحمرِ والذِّئب المكَّار». ثم أخرجَ مِن جيبِه الآخرِ نَظارةَ القراءةِ وأخَذَ يقْرأُ بعنايةٍ شديدة:

" كانَ ياما كانَ فى سالفِ العَصرِ والأوانِ أنَّ ذئبا قابلَ ذاتَ الرداءِ الأحمرِ وأرادَ أنْ يفترسَها، فتَخَفَّى فى ملابسِها، وحملَ سلَّةً مِثلَها، وأسرعَ الخُطَى، وذَهب إلى مَنزلِ جَدتِها قبلَ وُصولِها. ثُم ابتلعَ الذئبُ المكارُ الجَدةَ، وتنكَّرَ فى ملابسِها، ونامَ فى سريرِها فى انتظارِ ذاتِ الرداءِ الأحمرِ، ثُم..." .



لَحَسَ الذئبُ شفتَيْه، و قال بثقةٍ بالغةٍ: «لا داعيَ للاستمرارِ فى القراءةِ فأنا أعرفُ بقيةَ القصةِ وليسَ مِن الصعبِ تخمينُها، ولنُنفِّذْ كلَّ شىءٍ كما جاءَ فى الكتابِ». وقررَ أن يتنكَّرَ ليُصبحَ مثلَ ذاتِ الرداءِ الأحمرِ، فوجدَ ستارةً حمراءَ لَفَّها حولَ جسمِه، ووَجدَ حذاءً قديماً واسعًا فى الطريقِ فلبِسَه.

ولكنَّه وقعَ على وجهه بعدَ أنْ خَطا خُطوتيْن، فصاحَ مِن الألمِ، وقال: «سأخلعُ الحذاءَ وأضعُه تحتَ ذِراعى، وعندما أصلُ إلى بيتِ الجَدةِ سأرتديه وأمشِى بحذَرٍ. ولكنْ بقيَت السَّلةُ، أينَ سأجدُ السلَّةَ؟».



ظلَّ الذئبُ يَبحثُ ويَبحثُ ولكنَّه لمْ يجد سلةً، فجلسَ حزينا يفكِّرُ، فالكتابُ يقولُ: «وحملَ سلةً مثلَها». وهُو يريدُ أن ينَفِّذَ كلَّ ما جاءَ فى الكتابِ، وإلاَّ لن يُصبحَ مثلَ ذاتِ الرداءِ الأحمرِ. وهُنا قررَ الذئبُ الشهيرُ بالمكَّارِ أن يَحملَ كيسَ بلاستيك بدلاً من السلةِ، وفَرِحَ بذَكائه ودَهائه ومكْرِه، وحَمل حذاءَه فى يمينه وكيسَ البلاستيك فى يسارِه.

سار الذئبُ حتى اقتربَ مِن بيتِ الجَدةِ، حينئذٍ ارتدَى الحذاءَ بحذَرٍ حتَّى لا يقعَ مرةً أخرَى. وقال لنفْسِهِ برضاً شديد: «أنا الآنَ أشبِهُ ذاتَ الرداءِ الأحمرِ تماماً». ثم قَرعَ البابَ، فسمعَ عدةَ أصواتٍ مِن الداخلِ والخارِجِ تقولُ: «مَن؟». فاضطَرَبَ قليلاً، وقال: «أنا الذئـ.. أقصدُ أنا ذاتُ الرداءِ الأحمرِ»، فسمعِ أصواتاً كثيرةً تقولُ: «تفضَّلِ». فشعر ببعضِ الخوفِ فى بدايةِ الأمرِ. ولكنْ عندَما فُتِح البابُ وَجَد الجَدَةَ واقفةً أمامَه بمُفردِها. فظهرت الابتسامةُ الماكرةُ على وجهِهِ مرةً أخرَى وقال لنفْسِهِ: «لقد حانَ وقتُ العملِ!».



ولكنَّ فرحَه لم يدمْ طويلاً، إذْ انهالَتْ عليه الضرباتُ مِن ياسرٍ ونديمٍ ونُورِ الّذين كانُوا قد اخْتَبئُوا وراءَ الأشجارِ خارجَ المنزلِ. وتعالتْ ضحكاتُ ظَريف الذى كان قد اختبأ وراءَ البابِ، وتعالتْ صيحاتُ الذئبِ: «آى... الضربُ مؤلمٌ... أرجوكمْ... آى... متأسفٌ. ولكن كيفَ وصلْتِ قبلى يا آنسةُ؟ طِبقًا لِمَا جاء فى الكِتابِ القديمِ لا بدَّ أن أصلَ أنا قَبلَك، أليس كذلك؟! آى. كيف حَدث هذا؟ آى..».



كفَّ الأطفالُ عن ضربِ الذئبِ الشهيرِ بالمكارِ، وضحكوا وقالُوا له: «يا حضرة الذئب، نحنُ الآنَ فى حكاياتِ هذا الزمانِ». فلم يَفهم الذئبُ شيئا وقالَ مرةً أخرَى: طبقًا لِمَا جاء فى الكتابِ القديمِ لا بدَّ أنْ أصلَ أنا قبلَ ذاتِ الرداءِ الأحمرِ، فكيف حدثَ هذا؟! يوجدُ خطأٌ ما».

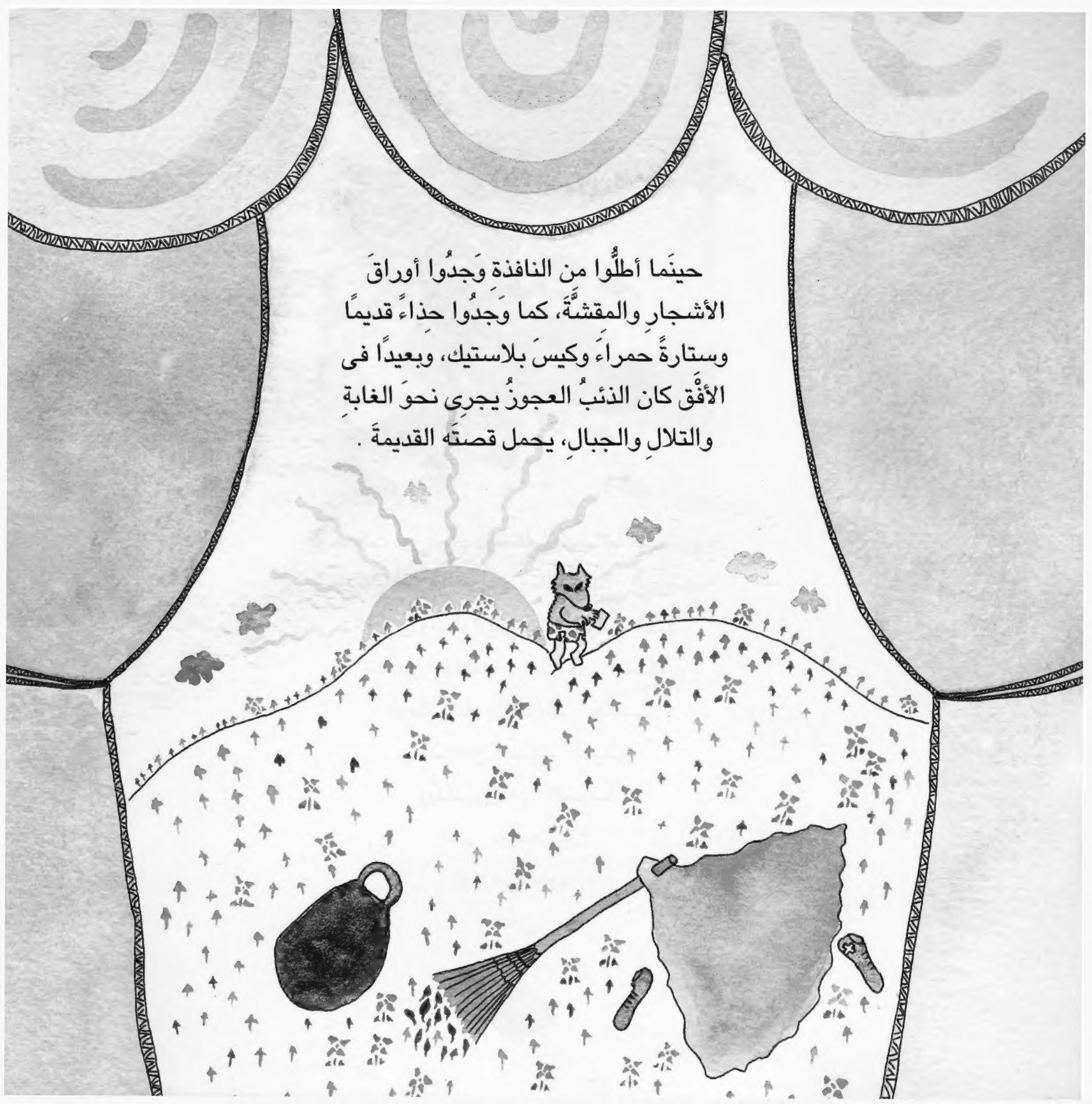
واحتفلَ الأطفالُ بانتصارِهم الكبيرِ واعتبروا أنفسَهم من أبطالِ الأساطيرِ. أما الذئبُ فقد أعطتْه الجَدةُ المقشةَ وطلبتْ منه أنْ يكنسَ أوراقَ الأشجارِ التى تَملأ حديقةَ المنزلِ، وأخبرتْه أنها ستُعطيه طعامَ العَشاءِ، ولكن بعدَ أن ينتهىَ من عملِه. فقالتْ نور: «أنتِ طيبةٌ وذكيةٌ يا جَدتى!»





فَتحت الجَدةُ نافذتَها ليُشاهدَ الأطفالُ غُروبَ الشمسِ، وجلستْ على كرسيِّها الكبيرِ، وجلَس ياسرٌ على حِجْرها ونور ونديم إلى جِوارِها وقصَّت عليهمْ حكايةَ الشاطر حَسَن، وسكة السلامة وسكة الندامة وسكة ثالثة يجبُ ألا يَدخلَها البشرُ. كما غنَّتْ لهم أغنيةً عن صَحراءَ مُمتَدّة جميلة، يسكنُها بدوٌ طيِّبون يقضُون أيامَهم فى الرعْى والغناء.

فرحَ الجميعُ بالقصة والأغنية، وقالت الجَدةُ: «حانَ موعدُ العَشاء يا أطفالُ، هيَّا لنَرَى هل انتهَى الذئبُ مِن أداءِ واجباتهِ؟».



حينَما أطلُّوا من النافذةِ وَجدُوا أوراقَ
الأشجارِ والمقشَّةَ، كما وَجدُوا حذاءً قديمًا
وستارةً حمراءَ وكيسَ بلاستيك، وبعيدًا فى
الأفْقِ كان الذئبُ العجوزُ يجرِى نحوَ الغابةِ
والتلالِ والجبالِ، يحمل قصتَه القديمةَ .



وضَعتْ نور دراجَتها على البساطِ السحرىِّ،
وركبَ الأطفالُ كُلُّهم وطارُوا بينَ السُّحبِ
إلى أنْ وصلُوا إلى بيتِهم. وأذَّن الديكُ
حسن فقاموا يَحلُمُون بسِكةِ
السلامةِ والشاطرِ حسن
ومِصباحِ عَلاءِ الدينِ
ويُفكِّرون فى المدرسَةِ
التى سيَذهبون
إليها فى اليوم
التَّالى.

